دور الضّمائر في التّشكيل الإحالي لافتتاحية سورة البّقرة

حبيب منصوري [*1] . محمد بن سعيد [2] .

1-جامعة أحمد بن بلة 1.وهران-الجزائر -مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب,

hbib.mansouri@yahoo.com

2- جامعة أحمد بن بلة 1.وهران-الجزائر, Mohamed bensaid@hotmail.com

الإرسال:2019/10/25 القبول:2020/11/23 النشر:2020/12/10.

الملخص:

تعدّ الضمائر عناصر تحققّ الربط داخل النصوص, باعتبارها من عناصر الإحالة, وتعدّ البنية الإحالية للضمائر الوسيلة الأكثر قوة وفعالية في تحقيق تماسك النّص القرآني(افتتاحية سورة البقرة), إذ تقوم بربط الأجزاء الداخلية للنص القرآني على مستوى الشكل, وتسهم في ربطه على مستوى الدلالة. فهي الوسيلة الأكثر قدرة على تحقيق التماسك داخل الآيات و على مستوى النص بأكمله, وتعدّ الإحالة وسيلة من وسائل الإتّساق النّصي, فهي علاقة دلالية لا تخضع لقيود نحوية, وهي وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه, وتقوم بوظيفة الربط بين أجزاء الكلام داخل النص, إذ يتكئ عليها محلّل النّص ليثبت مدى اتّساقه, فهي تركيب لغوي يشير إلى جزء ما, ذكر صراحةً أو ضمناً في النّص, و تقوم بربط العلاقات المعنوية داخل النّص فتجعل منه كلاً واحداً, وقد اخترت العمل على الآيات التي مثلّت افتتاحية سورة البقرة وذلك لطول السورة من جهة, ولأنّها تندرج تحت الخط الأوّل من المحور العام للسورة .

الكلمات الافتتاحية: ضمائر –إحالة- وظيفة-تماسك نصي- إفتتاحية سورة البقرة.

* **المؤلف المرسل:** حبيب منصوري ، hbib.mansouri@yahoo.com

Summary: Pronouns are considered elements that connect the texts within the texts, as they are among the elements of referral, and the referral structure of the pronouns is the most powerful and effective way to achieve the coherence of the Qur'an text (the opening of Surat al-Baqara), as it connects the inner parts of the Qur'anic text at the level of form, and contributes to linking it at the level of significance. It is the means most capable of achieving coherence within the verses and at the level of the entire text, and referral is considered a means of textual consistency, it is a semantic relationship that is not subject to grammatical restrictions, and it is the necessity to match the semantic characteristics between the referring element and the referred element, and it performs the function of linking the parts of speech within The text, when the text analyst leans on it to prove its consistency, it is a syntactic structure that refers to a part, explicitly or implicitly mentioned in the text, and it connects the moral relationships Within the text, you make it a whole, and I chose to work on the verses that represented the opening of Surat Al-Baqara, because of the length of the surah on the one hand, and because it falls under the first line of the general solution of the surah.

Key words : Pronouns - referral - function - textual coherence - the opening words of Surat Al-Baqara.

تمهيد: تعدّ الضمائر أكثر وسائل الإحالة وروداً في النّص, وقدرةً على إقامة التآلف بين أجزائه و التماسك بين دلالته, ليس على مستوى الجمل والعبارات فحسب, بل على مستوى النّص بأكمله, لأنهّا تقيم علاقة بين السابق واللاحق, وتقرن بين الترابط المفهومي والترابط الرصفي, أي بين ما هو لفظي وماهو معنوي.

وتكمن أهمية الضمير في الإحالة والربط بين الأجزاء الداخلية من ناحية, وبين الداخلي والخارجي في النّص من ناحية أخرى.[1] ووظيفة الضمير لا تقتصر على كونها إحلالاً أوإبدالاً لعنصر إشاري نحوي سابقاً كان أو لاحقاً, بل تتعداه إلى كونه يؤدي إلى الترابط الدلالي في النّص.[2]

وسواء كانت الضمائر وجودية أو ملكية, فإنّ ضّمائر المتكلم أو المخاطب عناصر إشارية, تحيل إلى عنصر خارج النّص, على حين ضّمائر الغائب تحيل إلى عناصر إحالية داخل النّص, تدفع القارئ للبحث عن العنصر المحال إليه, لذا يرى بعض العلماء النّصيين[3] :(أنّه لا يعول كثيرا في الإتّساق النّصي إلاّ على ضمائر الغائب).إذ أنّها تدفع القارئ أن يّكدّذهنه ليكشف العنصر المحال إليه في السياق.

وتشكيل المعنى أو إبرازه, يعتمد على وضع الضّمائر داخل النّص, فهي من بين الوسائل التّي تحقّق التّماسك الداخلي والخارجي, وتكمن أهميته النّصية في كونه يحيل إلى عناصر سابقة في النّص, فضمير الغائب يتضمن وظيفتين :

أولهما:الدّلالة على الغياب عن دائرة الخطاب.

ثانيهما:الاستجابة إلى الإسناد.

ممّا يؤهّل الضمير لاكتساب أهمية كبرى في دراسة تماسك النّصوص.[4]

وقد عدّ"سعيد بحيرى" الإحالة رابطا دلاليا[5] حيث يربط بين عناصر النّص المتباعدة والمتفرقة, ويبرز دور السيّاق في تحديد مرجعية الضمير, لاسيما في حالة الغموض أو كون المرجعية خارجية.

قال تعالى:﴿ **لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ** ﴾.[6][الأعراف, 59], فالضمير (نا) يحيل إلى الله تعالى, وعلى الرغم من عدم وجود إحالة قبلية داخلية غير أنّ السياق القرآني لا يغيب عن متلقي القرآن, فيمكنه على الفور تحديد مرجعية الضمير اعتمادا على قيود النّص القرآني وسياق الحال.

يقول هاليداي ورقية حسن:[7]«تعتمد الإحالة الخارجية على سياق الحال, فبدون السياق نعجز عن تفسير ما يقال.» .وهذا بطبيعة المقال لا يكون مع ضمائر الغائب.

1-سورة البقرة:

هذه السورة مدنية, وهي أول ما نزل بالمدينة, وآياتها مائتان وست و ثمانون, وهي من أعظم السور وأطولها, نزلت في أزمان متباعدة, فقد صح أن قوله تعالى :﴿ **وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ**

فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ. ﴾[8] [البقرة, 281], مع آيات الربا, من آخر القرآن نزولا.[9]

وهي مليئة بآيات الأحكام والتشريع, ولعظيم فقهها, أقام عبد الله بن عمر ثماني سنين في تعلّمها, ولهذا سميت فسطاط القرآن, ووصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها سنام القرآن.[10]

2-موضوعات سورة البقرة:

يقول "الطاّهر بن عاشور" في تفسيره :[11] «هذه السّورة مترامية أطرافها, وأساليبها ذات أفنان, قد جمعت من وشائج أغراض السّور ما كان مصداقاً لتلقيبها فسطاط القرآن, فلا نستطيع إحصاء محتوياتها بحسبان, وعلى النّاظر أن يترقب تفاصيل منها فيما يأتي لنا من تفسيرها, ولكن هذا لا يحجم بنا عن التعرّض إلى لائحات منها, وقد حيكت بنسج المناسبات والإعتبارات البلاغية من لحمة محكمة في نظم الكلام, وسداً متيناً من فصاحة الكلمات.

ومعظم أغراضها ينقسم إلى قسمين:

قسم يُثبت سمو هذا الدين على ما سبقه, وعلو هديه وأصول تطهيره للنّفوس, وقسم يُبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم.».

ويقول "السيد قطب:"«[12] هذه السّورة تضّمّ عدّة موضوعات, لكنّ المحور الذي يجمعها كلّها محور مزدوج, يترابط الخطان الرئيسان فيه ترابطاً شديداً, فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدّعوة الإسلامية في المدينة, واستقبالهم لها, ومواجهتهم لرسولها صلّى الله عليه وسلم, وللجماعة المسلمة النّاشئة على أساسها, وسائر ما يتعلّق بهذا الموقف, بما فيه تلك العلاقة بين اليهود والمنافقين من جهة, وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى, وهي من النّاحية الأخرى, تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أوّل نشأتها, وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض.».

3-الموضوعات الجزئية التي شكّلت المحور العام للسورة:

بدأت السورة بالأحرف المقطعة (الم) تبيانا الإعجاز القرآني وبلاغته, تبعها الحديث عن صفات المؤمنين ثم صفات الكافرين ثم صفات المنافقين وهذا من الآية (1-25), ثم بين

المولى عز وجل براهين قدرته, وردّ على شبهات الكافرين, بضرب الأمثلة بأصغر مخلوقاته, ثم انتقلت الآيات تتحدّث عن قصة آدم وخروجه من الجنّة من أجل العّظة والاعتبار(26-39).

ثم تّناولت السّورة الحديث بإسهابٍ عن بني إسرائيل, من خلال ذكر صفاتهم وأخلاقهم الدّنيئة, وحالهم مع أنبيائهم في تكذيبهم وقتلهم, ومخالفتهم للملّة الإبراهيمية الحنفية (40-141)

ومن الآية (135-150) كان الحديث عن تحويل القبلة, والردّ على ادّعاءات اليهود, ثم اتّجه الخطاب نحو الفئة المؤمنة, من خلال تذكيرهم بنعم الله تعالى ودعوتهم للشّكر والصلاة, وبيّنت أنّ الصفا والمروة من شعائر الله, ونوهت إلى وجوب نشر العلم (151-163), ثم بيّن الله عزّ وجل أدلّته وقدرته ووحدانيته, وبين ضلال المشركين, ودعا إلى أكل الحلال الطيب(164-172).

ثمّ انتقلت السّورة للحديث عن الأحكام الشّرعية, كحكم القّصاص والوصّية, ثمّأحكام الصيّام, وأهمية المواقيت, وتناولت القّتال وضوابطه في الأشهر الحُرُم, وعن أحكام الحجّ والعمرة, وتطرّقت لأحكام الجّهاد, وضرورة إصلاح المجتمع, وتحدّثت عن الخمر, والنّفقة وأحوال اليتامى, وحكم نكاح المشركين والمشركات, وأحكام الحيض والحنث باليمين, وعن أحكام الطّلاق والرّضاع والخِطبة, ووجوب المحافظة على الصّلاة, وبيان قدرة الله عزوجل على الإحياء, وضرب الأمثلة من الأمّم السابقة في الجّهاد في قصة طالوت واصطفاء داوود عليه السّلام (173-254).

وذُكر في السّورة أعظم أية في كتاب الله تعالى (أية الكرسي), وأشارت إلى حرّية التدّين, ثم جاء الحديث بعدها عن قصّة إبراهيم عليه السّلام مع النّمرود, ومحاججته له في ربوبية الله عزّ وجل, ثم قصّة "عُزير" في قدرة الله عزّ وجّل على إحياء الموتى, ثم حوار إبراهيم عليه السّلام مع ربّه في بيان كيفية إحياء الموتى, ثم جاء الحديث بعد هذه القّصص القصيرة للحث على الصّدقة والإنفاق, والتحذير من الرّبا وعواقبه, ثم انتقلت السّورة للحديث عن أطول آية في القرآن, وهي آية الدَّيْن, وخّتمت السّورة بدعاء المؤمنين وإنابتهم وخضوعهم لربّهم (255-286)[13].

لاشك في أنّ الإحالة قد قامت بدور كبير في تحقيق التّماسك الكلّي للسّورة من جهة, وتحقيق التّماسك داخل موضوعاتها الجزئية من جهة أخرى.

فكيف ساهمت الإحالة الضميرية في تحقيق التّماسك لافتتاحية السّورة ؟

4-معنى الإحالة:

1-4-الإحالة في اللّغة :مصدر الفعل(أحال), والمعنى العام لهذا الفعل هو التّغيّر ونقل الشّيء إلى شّيء آخر [14]والتّغيّر والتّحول ونقل الشّيء إلى شّيء غيره ليس بعيدا عن الاستخدام الدّلالي للإحالة النّصية, فهذا الأمر لا يتّم إلاّ في ظل وجود علاقة قائمة بينها, تلك العلاقة هي التي سمحت بالتّغيّر .

أمّا من النّاحية الاصطلاحية :فالإحالة مصطلح قديم, لكنّه جديد بمفهوم استخدامه والتّوسع فيه, وتطبيقاته في علم اللّغة النّصي, , ولهذا لم يُتّفَق على تعريف نهائي له, فاستّحق أن نتوقّف أمام مفهومها الاصطلاحي.

2-4-مفهومها الاصطلاحي[15], وقد عرّفها "دي بو جراند" (Debogren)بأنّها:«العلاقة بين العبارات من جهة, وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات.» [16]ويقول "جون لاينز"في سياق حديثه عن المفهوم الدّلالي التقليدي للإحالة :«إنّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات هي علاقة إحالة, فالأسماء تحيل إلى مسمّيات .» [17]وعرفّها "كلماير" (klemer) بأنّها:«العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه عنصر علاقة, وضمائر يطلق عليها صيغ الإحالة.» [18], ويقدم "تنيير"(tener) تصوراً خاصاً للإحالة, فهي عنده, «ربط دلالي إضافي, لا يطابقه أيّ ربط تركيبي».[19]

ونلفت النظر إلى أنّ اللّغة تشتمل على نوعين من العناصر, يمثّلان قطبي الإحالة, وهما العنصر الإشاري والعنصر الإحالي.

ا-العنصر الإشاري:يعرّفه "الأزهر الزناد" بأنّه:« كلّ مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يُفسّره» [20].فقد يكون لفظا دالاً على حدث أو ذات, كإحالة ضمير المتكلم (أنا)على صاحبه, وبالتالي يرتبط العنصر الإحالي بعنصر إشاري غير لغوي مُمَثّلاً بذات المتكلم أو موقع ما في الزمان.

ب-العنصر الإحالي:يعرّفه"الأزهر الزناد" بقوله:«العنصر الإحالي هو كلّ مكوّن يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يُفسّره» [21], وبذلك تكون العناصر الإحالية فارغة دلاليا, ممّا يجعل تفسيرها رهين بربطها بالعناصر الإشارية التي تعوّضها, ويذكر "محمد خطابي" أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل, إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من

أجل تأويلها, وتتوّفر كلّ لّغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة.»[22], ويمكن من خلال هذه العناصر أن تتشكّل شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النّص, وينتّجعن هذا الإنسجام والإئتلاف بين الأجزاء المتّقاربة والأجزاء المتباعدة بنيّة متّداخلة معقّدة, تشكّل الأحداث الاتّصالية التيّ تحدّد كم ورود صيغ الإحالة بوجه عام في النّصوص[23].

ومن المزايا المهمّة للإحالة, والتيّ ينبغي الإشارة إليها, أنهّا قادرة على صنع جسور كبرى للتّواصل بين أجزاء النّص المتباعدة, والرّبط بينها ربطاً واضحاً, فالإحالة لها أهمية كبرى في الرّبط النّصي, ويشير "دي بوجراند" (Debogren)إلى:« أنّه ليس من المستحسن أن نجعل مسافة كبيرة بين اللّفظ الكنائي, وما يشترك معه في الإحالة».[24]

فالإحالة إذن لا تخضع لقيود نحوية, إلاّ أنهّا تخضع لقيد دلالي, وهو وجوب تطابّق الخّصائص الدّلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[25], فالرّبط يمكن أن يكون نتيجة علاقة إحالية, حين تنشأ علاقة إحالية بين جملتين مستقلتين, وحين تكون العلاقة بينهما ذات طبيعة غير تركيبية على الإطلاق, فالرّبط من خلالها يكون ضعيفا, بل ضئيلا.[26]

وتقوم الإحالة على نوعين من الرّبط الدّلالي:

1-ربط دّلالي يوافق الرّبط البينوي(التركيبي).

2-ربط دّلالي إضافي يمثّل الإحالة, وهو الرّبط الإحالي.

وهذا الرّبط الدّلالي هو الذي يمدّ جسور الاتّصال بين الأجزاء المتباعدة في النّص, إذ تقوم شبكة من العلاقات الإحالية المتباعدة في فضاء النّص, فتجتمع في كل واحد عناصره المتناغمة.[27]

ويمكن أن تكون عناصر الإحالة –بشكل عام- مقامية أو نّصية, فإذا كانت مقامية, فإنها تحيل إلى عنصر أو عناصر غير لغوية(خارج النص), وإن كانت نّصية, فإنّها تحيل إلى السابق أو اللاحق, فالإحالة على السابق أو الإحالة بالعودة, أو الإحالة القبلية تعود على مفسر سبق التلفّظ به, وهي الأكثر دورانا في الكلام, والإحالة على اللاحق وتسمى بعدية, وهي التي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها.[28]

وتشتمل الإحالة على نوع آخر يتمثّل في تكرار اللّفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النّص قصد التّأكيد, ويّطلق على هذا النوع, مصطلح (الإحالة التّكرارية), ومن أمثلة ذلك: ضمير الشّأن في العربية.[29]

5-عناصر الإحالة :

تتوزّع الإحالة كما يلي:[30]

ا-المتكلّم أو الكاتب : وبقصده المعنوي تتّم الإحالة إلى ما أراد, حيث يشير علماء النّص إلى أن الإحالة عمل إنساني.

ب- اللّفظ المحيل: وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسّد إمّا ظاهرا أو مقدرا, كالضّمير أو الإشارة, وهو الذي يحوّلنا ويغيّرنا من اتجاه خارج النّص إلى داخله.

ج-المحال إليه: وهو موجود إمّا خارج النّص أو داخله, من كلمات أو عبارات أو دّلالات, وتفيد معرفة الإنسان بالنّص, وفهمه في الوصول إلى المحال إليه.

د-العلاقة بين اللّفظ المحيل والمحال إليه : والمفروض أن يّكون التطّابق مجسّدا بين اللّفظ المحيل والمحال إليه, بمعنى أنّ الإحالة تأتي عن طريق ألفاظ واجبة الصّدق بوصف المحال إليه شيئا موجودا في عالم الواقع والحقيقة.

إنّ ثمة صعوبة كبيرة تجابه من يّعالج نظام الإحالة في اللّغة العربية, تتمثّل في تّعدد المحال إليه في الإحالة النّصية بوجه خاص, واختلاف النّحاة في التّفسير التركيبي والدّلالي لعنصر الإحالة, وخفاء العلاقة بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري وغموضها, حين يتعذّر تحقّق المطابّقة في الجنس والعدد[31].

6-أدوات الاتّساق الإحالي:

وهي تلك الألفاظ التّي نعتمد عليها لتحديد المحال إليه داخل النّص أو خارجه, وقد أطلق عليها "هاليداي" (Halliday)(أدوات) لا نعتمد في فهمنا لها على معناها الخاص, بل على إسنادها إلى شيء آخر[32], وأطلّق عليها "روبرت دي بو جراند" (Robert Debogren)(الألفاظ الكنائية), ووضع لها سمات [33], وأطلّق "الأزهر الزناد" عليها (العناصر الإحالية) في اللّغة, وعدّها من قبيل المعوّضات, وأشار إلى أنّها تعويض عن وحدات معجمية, يمكن أن نطلّق عليها مصطلح العنصر الإشاري.[34]وتشمل كل ما يشير الى ذات أو موقع أو زمن, وتنقسم العناصر الإحالية عنده إلى :

1-الضّمائر. 2- أسماء الإشارة.

وقد أشار "محمد خطابي" إلى أنّها عناصر خاصّية الإحالة, وتتوّفر كلّ لّغة طبيعية على تلك العناصر الإحالية التي قسّمها "هاليداي ورقية حسن" في كتابهما ((الإتّساق في اللّغة الانجليزية)) إلى[35]:

1-الضّمائر. 2- أسماء الإشارة. 3- أدوات المقارنة.

فهذه الأدوات تمتلك خاصية إحالية, وهي تحفّز المتّلقي على البحث عن معناها, ومتى كان المحال إليه داخل النّص, فإنّ تلك الأدوات تلعب دورا أساسيا في تحقيق التّماسك النّصي.

وسنحاول في هذا البحث دراسة أداة واحدة من هذه الأدوات, وهي الضّمائر, بوصفها أكثر وسائل الرّبط الإحالي شيوعاً وتأثيراً في ترابط النّص القرآني.

7-البّنية الإحالية للضّمائر:

تضمّنت السّورة حشدا كبيرا من الضّمائر الشّخصية, أغلبها ضمائر متّصلة, وهي تحيل في الغالب إلى مرجع سابق, ولاشك أنّ هذا التّواجد المكثّف للإحالات الضّميرية له دّلالته ووظيفته في تحقيق التّماسك النّصي على مستوى البّنية الكليّة والجزئية للسّورة.

يبدأ البّحث من افتتاحية السّورة الكريمة التّي تمتّد من الآية (1-25) والتّي تحدّثت عن الملامح الأساسية التي واجهتها الدّعوة الإسلامية في المدينة, باستثناء اليهود, التي وردت إشارة صغيرة لها, ووصفهم الله عز وجل بالشّياطين, وهذه الكلمة تلّخص الكثير من صفات اليهود وقبحهم ومساوئهم.[36]

وتندرج الافتتاحية تحت المحور العام للسّورة, الذي يتحدث عن تكليف الجماعة المسلمة بحمل الأمّانة والاستخلاف في الأرض, وبيان رشدها وأنهّا الفئة المهتدية, بخلاف الفئة الضّالة التيّ ذمّها (الكافرون والمنافقون), وتناولت الحقائق المهّمة التي ترتبط بعضها ببعض للدّلالة على ذلك.

لم تسلم الدّعوة المحمّدية من سهام التّكذيب والتّنكيل في مكّة, فحُوربت من طرف الكفاّر والمشركين, وبعد الهجرة إلى المدينة, واجه المّسلمون طائفتين من الأعداء, طائفة أظهرت عداءها وكفرها, وأخرى أضمرت نواياها الخبيثة, وتظاهرت بالإيمان في أبغض مظاهر الغيّ والنّفاق.

على ضوء هذا, نجد أن أغلب الضّمائر الواردة في مقدّمة السّورة تعود على العناصر الإشارية التالية:

1-الكتاب.

2-المتّقون
3 -الرّسول صلّى الله عليه وسلّم..
4-الله عزّ وجلّ.
5-الكفّار.
6-المنافقون.

العنصر الأوّل المحال إليه في الافتتاحية هو: القرآن الكريم, الذّي سمّاه الله عزّ وجلّ (الكّتاب), فجاءت الضّمائر المحلية إليه متأخّرة عنه, على سبيل الإحالة النّصية إلى سابق.

الكّتاب (مرجعية داخلية سابقة).....فيه (الآية 2).

.....//.....//.....مثله (الآية 23).

فالضمير المتّصل (ها) في (فيه)و(مثله) يعود على الكتّاب المذكور سابقا, على سبيل الإحالة السابقة, ممّا أدّى إلى تمّاسك النص.

أما العنصر المحيل إليه الثاني فهو: (المتّقون), وقد ذُكر ملفوظا صريحا في الآية الثانية, ومن ثمّ فإنّ جميع الضّمائر المحيلة إليه تعود إلى مرجع متقدّم الذّكر, على سبيل الإحالة الداخلية السابقة.

المتّقون (مرجعية داخلية سابقة).....يؤمنون –يقيمون-ينفقون. (الآية3).

.//.....//.....يؤمنون-هم يوقنون .(الآية4)

...//.....//.....ربهم-هم (الآية5).

...//.....//.....امنوا (الآية 9).

..//.....//.....امنوا –عملوا –لهم-رزقوا-رزقنا-واتوا-لهم-هم.(الآية25).

فكلٌّ من الضّمير المنفصل (هم) والضّمير المتّصل (واو الجماعة) في هذه الآيات, يحيلان على لفظة (المتّقين) المذكورة سابقا, ممّا ساهم بشكل واضح في تمّاسك النص.

والعنصر الثالث المحيل إليه في الافتتاحية هو: الرّسول صلّى الله عليه وسلّم, فتوزّعت الضّمائر المحيلة إلى شخصه صلّى الله عليه وسلّم بين المرجعية الداخلية اللاحقة (الآية4)و(الآية6), والمرجعية الداخلية السابقة (الآية25).

الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.....مرجعية داخلية لاحقة ....إليك –قبلك (الآية4)

.....//.....//.....أنذرتهم-لم تنذرهم (الآية6)

.....//.....مرجعية داخلية سابقة.....بشر (الآية25).

فكلٌّ من الضّمير المخاطب المتّصل (ك) في لفظة (إليك) و(قبلك) والضّمير المتّصل المخاطب (ت) في لفظة (أنذرتهم) التي جاءت بصيغة الإثبات والنّفي يعود على الرّسول صلّى الله عليه وسلّم, الذي ذكر بصفة من صفاته وهي (عبدنا), في قوله تعالى:﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.[37] [البقرة, 23].

كما أنّ الضّمير المخاطب المستتر المقدّر(أنت) في فعل (بشر), يرجع على شخصه صلّى الله عليه وسلّم, فوظيفة هذه الضّمائر جاءت للرّبط بين الضّمير ومرجعه, من خلال خاصية الإحالة التيّ أدّت بدورها إلى التّماسك النّصي للخطاب القرآني.

أمّا العنصر الرابع المحيل إليه هو: الله عزّ وجلّ, حيث ذكر لفظ الجلالة (ربهّم) ملفوظا صريحا, في قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[38] [البقرة, 5], وجميع الضّمائر المحيلة إليه كانت متأخّرة, باستثناء ما ورد في قوله:﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[39] [البقرة, 3], التي كانت فيها المرجعية داخلية لاحقة, أمّا باقي الضّمائر المحيلة إلى المولى جلاّ وعلا, فقد وّردت على سبيل الإحالة الدّاخلية السابقة.

الله عزّ وجلّ.....مرجعية داخلية لاحقة.....رزقناهم (الاية3).

.....//.....مرجعية داخلية سابقة.....يستهزئ-يمدهم(الآية15).

.....//.....//.....ذهب-وتركهم(الآية17).

.....//.....//.....لذهب(الآية20)

.....//.....//.....خلقهم(الآية21).

.....//.....//.....جعل –أنزل-أخرج (الآية22).

.....//.....//.....نزّلنا-عبدنا(الآية23).

فالضّمير المستّتر المنفصل (هو) في الأفعال السّابقة يعود على الله عزّ وجلّ, كما أنّ الضّمير المتّصل (نا) أيضاً يرجع إلى الله عزّوجلّ, ومرجعية الضّمير هنا, سواء كانت سابقة أو لاحقة, ساهمت في ترصيف الكلام, مما أدّى إلى تّماسك النّص.

أمّا العنصر الخامس المحيل إليه هو :فهو(الكفّار), وقد ذُكر صراحةً في الآية السادسة, ومن ثمّ جاءت الضّمائر المحيلة إلى هذا العنصر متأخّرة عنه, فالمرجعية هنا داخلية إلى مذكور سابق.

الكفّار.....مرجعية داخلية سابقة.....—عليهم-أأنذرتهم-لم تنذرهم —لا يؤمنون(الآية6).

....//.....قلوبهم-سمعهم-أبصارهم-لهم.(الآية7).

فالضّمير المتّصل (هم) و(واو الجماعة) في الملفوظات السّابقة, يرجع على الكفّار, فهذه الضّمائر ربطت اللّواحق (عليهم-لا يؤمنون-قلوبهم -سمعهم-أبصارهم)بالسّابق (كفروا), مما أدّى إلى تمّاسك النّص.

والعنصر الأخير المحيل إليه في هذه الافتتّاحية, هو:(المنافقون), الذين أشير إليهم بلفظة (ومن النّاس) تحقيراً لهم, وازدراءً لشأنهم, وهؤلاء القوم يدّعون الإيمان ويقرّون ذلك بأفواههم ويخفون كفرهم وتكذيبهم, وهم لا يختلفون عن الكفّار في معاداتهم للإسلام والمسلمين, إلاّ أنهّم يكتمّون كفرهم ويظهرون عكس ما يبطنون, وكلا الفريقين ضّال ومضّل.

وقد عادت أكثر الضّمائر الواردة في افتتاحية السّورة على هؤلاء المنافقين, وكانت الإحالة داخلية سابقة, والمنافقون شأنهم شأن الكفّار في معاداة الإسلام, لكنّ الله عزّ وجلّ أراد أن يفضحهم ويكشف سرائرهم الكاذبة, ويُبَصّر المؤمنون الذين انخدعوا بهم, ليعرفوهم ويحذروهم, ففصّلت الآيات المتتالية(من الآية8 إلى الآية20) الحديث عنهم وضربت فيهم الأمثلة, وبيّنت خسرانهم وبوارهم.

المنافقون.....إحالة داخلية سابقة.....يقول —أمنا-هم (الآية8).

....//.....يخادعون-يخدعون-أنفسهم-يشعرون(الآية9)

....//.....قلوبهم -فزادهم-لهم-كانوا-يكذبون(الآية10).

.....//.....//.....لهم —لا تفسدوا-قالوا-نحن(الآية11).

.....//.....//.....إنهّم-هم —لا يشعرون(الآية12).

.....//.....//.....لهم-امنوا-قالوا-أنؤمن-إنهّم-هم-لا يعلمون(الآية13).

.....//.....//.....لقوا-قالوا-أمنّا-خلوا-شياطينهم-قالوا-إنا-نحن(الآية14).

.....//.....//.....بهم-يمدهم-طغيانهم-يعمهون(الآية15).

.....//.....//.....اشترّوا-تجارتهم-ماكانوا(الآية16).

.....//.....//.....مثلّهم-بنورهم-تركهم-لا يبصرون(الآية17).

.....//.....//.....فهم-لايرجعون(الآية18).

.....//.....//.....يجعلون-أصابعهم-آذانهم(الآية19).

.....//.....//.....أبصارهم-لهم-مشوا-عليهم-قاموا-بسمعهم-أبصارهم(الآية20).

فكلٌّ من الضّمير المتّصل (هم) و(واو الجماعة) في هذه المسكوكات المرصوفة داخل الخطاب تعود على المرجع السابق وهو (المنافقون), المكنى عليهم بلفظ (ومن النّاس), وقد ساعد هذا على ربط الكلام بعضه ببعض, ممّا ساهم في تّماسك النّص.

8-الخاتمة:

تماسكت هذه الافتتاحية من(الآية1-25)من سورة البقرة, التي تشكّل الوحدة الدّلالية الأولى, وهي النّواة التي تقود إلى فهم الإطار العام الذي تعالجه هذه الآيات المحكمات, وغلبت الإحالة النّصية السّابقة على المشهد العام لهذه الافتتاحية, ومتلّقي النّص مُلزم بالعودة إلى الوراء من أجل معرفة العناصر المحال إليها, وربط الشّبكة النّحوية بالشّبكة الدّلالية من أجل استجلاء المعاني.

وصار دور الضّمير واضحا وجليا لا يخفى, فقد ساهم في عملية الرّبط والإرتباط بين المباني والمعاني بين أجزاء الكلام, إذ لايمكن فهم المعاني والدّلالات دون وجود ترابط.

كما أنّ المتأمّل يرى أنّ الإحالة بالضّمائر هي الوسيلة الأكثر قوة في صنع التّماسك الدّلالي للنّص القرآني, وتجسيد وحدته العامة.

وهذا التّماسك المتحقّق في افتتاحية سورة البّقرة, يقودنا إلى التّساؤل حول مدى استمرار هذا الانتظام الإحالي النّحوي من خلال الضّمائر, والذي يحقّق التّماسك الدّلالي على مستوى المعاني في باقي أجزاء السّورة, ومن خلال الإحصاء, تبين لنا استمرار توارد الروابط الإحالية الضّميرية إلى العناصر السابقة الذكر(الله عز وجل-الرّسول صلّى الله عليه وسلّم-الكتاّب-المؤمنون-الكفّار-المنافقون.).

الهوامش:

1-أسماء رأفت شهاب ، نحو النص بين النظرية والتطبيق ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ط1 ، 2016ص41.

2-حمادة عبد الإله حامد 'التماسك النصي بالإحالة دراسة تطبيقية على سورة الواقعة ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، ع19 ، ج6 دار الكتب المصرية 2015 ، ص5092.

3-أحمد عفيفي ، نحو النص (نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي) ، مكتبة زهراء الشرق-القاهرة ، ط1 ، 2005 ، ص24.

4-جيزبل فالانسي ، النقد النصي ، ت-رضوان ضاضا ، مقال بمجلة عالم المعرفة ، ع221 ، الكويت 1997 ، ص246.

5-سعيد بحيري ، من أشكال الربط في القران الكريم ، تضافر العناصر الإشارية والعناصر الإحالية في تماسك النص ، مقال من كتاب فولفدتيرش فشر ، دراسات عربية سامية ، مركز اللغة العربية ، القاهرة 1994 ، ص146.

6-سورة الأعراف الآية رقم 59.

7 -Halliday .M.A.K and Ruquiaya hasan -.Cohesion in English-P.P55.

8البقرة الآية رقم 281..

9- إبن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مكتبة الصفا ، ط1 ، 2003ج8.ص205.

10أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ، البرهان في ترتيب سور القران ، د/ت-محمد شعباني ، المغرب1990 ، ص190.

11-الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر –تونس ، 1984.ج1 ، ص203.

12السيد قطب ، في ظلال القران ، دار الشروق ، ط 11 ، 1985 ، .م1ج1 ، ص28.

-ينظر – ميادة الماضي ، الدرة في تفسير القران ، مؤسسة الرسالة العالمية ، بيروت ط1 2006 ص19- 13521

14 -ابن منظور ، لسان العرب (مادة حول) ، مجموعة من الأساتذة المتخصصين ، دار الحديث القاهرة ، 2015 ، مج 2 ، ص 665.

15- احمد عفيفي ، ، ص526.

16- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ت-تمام حسان ، عالم الكتب-القاهرة ، 1998 ، ص172.
17--ج/بروان وج/يول ، تحليل الخطاب ، ت-محمد لطفي الزليطي ومنير التركي ، جامعة آل سعود-الرياض ، 1997 ، ص36.
18دراسات لغوية ، سلسلة العلوم الإنسانية ، مجلة الأزهر غزة ، مكتبة الزهراء –القاهرة ، مج13 ، ع1 ، 1989 ، ص82.
19 المرجع السابق ، ص83.
20الأزهر الزناد ، نسيج النص(بحث ما يكون في الملفوظ نصا) ، المركز الثقافي العربي ، -بيروت ، 1993 ، ص114.
21المرجع السابق ، ص115
22محمد خطابي ، لسانيات النص(مدخل إلى انسجام النص) ، المركز الثقافي العربي-بيروت ، 1991 ، ص17.
-سعيد حسن بحيرى ، ظواهر تركيبة في مقابسات أبي حيان ، مكتبة الآداب–القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص23.255
24-سعيد حسن بحيرى ، ظواهر تركيبة في مقابسات أبي حيان ، مكتبة الآداب–القاهرة ، ط1 ، 2006 ، ص255.
25روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ت-تمام حسان ، ص327.
26-محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص17.
27-سعيد حسن بحيرى ، نظرية التبعية في التحليل النحوي ، مكتبة انجلو مصرية ، 1998 ، ص273.
28سعيد حسن بحيرى ، دراسات تطبيقية ، ، مكتبة الآداب-القاهرة ، ط1 ، 2005.ص82.
29محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص17.
30سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية ، ص88-89.
31- سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية ، ص93-94.
32- احمد عفيفي ، نحو النص ، ص 532.
33روبرت دي بوجراند والنص والخطاب والإجراء ، ص320
34.الأزهر الزناد ، نسيج النص ، ص18
35-.محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص18
36ينظر –السيد قطب ، في ظلال القران ، ج1/ص37.
37-البقرة الآية 23.
38-نفس السورة الاية5.
39السورة نفسها الآية 3.